حول قضية فلسطين

أيهـــا العرب ...

استيقظوا واحذروا

الأستاذ سيد قطب

إن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

ويسوءنى أن أكون نذير سوء ؛ ولكن لأن نواحه الحقائق الواقعة ، خير من أن ستنيم للأحلام ..

حينما صدر الكتاب الأبيض الإنجليزى أعلن كل عربى مخلص أنه لا يرضى عن هذا الكتاب ، وأنه صدمة لآمال العرب بما تضمنه من استمرار الهجرة الصهيونية فترة أخرى ، وإن تكن موقوتة ، تصبح بعدها الهجرة مرهونة بمشيئة العرب ، إن شاءوا أمضوها ، وإن شاءوا لم يسمحوا من بعد بها .

واليوم يتمسك العرب بسياسة الكتاب الأبيض ، ويدعون انجلترا للمحافظة عليها ، وهم يرون فى تصريح « بيفن » الأخير نقضاً لها ، واستمراراً فى الهجرة إلى غير موعد !

إذن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

تتأخر ، فيصبح الكتاب الأبيض الذى كان بالأمس موضع شكوى العرب ، هو موضع رجائهم . وينقلب الحد الأدنى — أو ما هو دونه — حداً أعلى لآمال العرب أو الناطقين باسمهم فى هذه الأيام .

ألا إنها المحنة التى يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

* * *

فلننظر فيم كان هذا الانقلاب ؟

صدر الكتاب الأبيض بالأمس ترضية للعرب الثائرين الساخطين ، فرفضوه واستصغروه . فلما سرى البرد إلى دمائهم الفائرة ، ودب الخدر إلى أعصابهم الثائرة ، رضوا عن الكتاب الأبيض ، ووقفوا ينتظرون ....

وألفى الكتاب الأبيض اليوم ترضية للصهيونيين الثائرين المتمردين ، وهم يرفضون إلغاءه ويستصغرون اقتراحات « بيفن » الأخيرة ، لأن العرب لا يزالون فى خدر لذيذ يستنيمون إليه .. ذلك أنهم يثقون بالضمير البريطانى !!!

ومن هنا نستطيع أن نعرف : متى يسترضينا الإنجليز ، ومتى يسترضون الصهيونيين ؟!

فلننظر إلام تؤدى اقتراحات « بيفن » الأخيرة ؟

ستفتح أبواب الهجرة الصهيونية بعد إغلاقها ، وستؤلف لجنة تحقيق — لم تؤلف بعد — لتنظر فى قضية فلسطين وقضية اليهود عامة . وما دامت هذه اللجنة لم تنته من تحقيقاتها الواسعة المدى فسيظل سيل الهجرة يتدفق على فلسطين !

أهى سنة ؟ أم سنتان ؟ أم خمس سنوات ؟ أم هى التعلة الناجعة لاستمرار الهجرة إلى غير ميعاد ؟ فإن ضجر العرب يومذاك أو تبرموا كانوا قوماً عجلين ، لا يريدون أن تعمل اللجنة فى جو هادئ ، ولا يمكنون للحقائق فى الظهور !

ثم يوجد من العرب من يرى فى مثل هذه الاقتراحات أساساً صالحاً لقضية فلسطين .

ألا إنها المحنة التى يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

* * *

للإنجليز أن يهللوا لاقتراحات « بيفن » الأخيرة . فهى انتصار للسياسة الإنجليزية التقليدية ... انتصار لها من شتى الوجوه :

١ — الانتصار الأول جر أمريكا لاحتمال التبعات فى فلسطين دون أن يكون لها شىء من المغانم ! وتصور هذا بأنه استماع لصوت أمريكا فى حل القضية العقدة التى استطاع الصهيونيون الأثرياء أن يحركوا لها « ترومان » وسواه . فإذا انتهوا إلى حل فلن تستطيع أمريكا رفضه وهى الشريكة فيه !

٢ — والانتصار الثانى تثبيت صفة الانتداب الإنجليزى على فلسطين باسم جديد هو « الوصاية » باعتراف من الولايات المتحدة فى هذه المرة . فلقد كان الانتداب من « عصبة الأمم » التى اعترفتها الولايات المتحدة وكان المرجو هو استقلال فلسطين !

٣ — والانتصار الثالث هو « التأجيل » طابع السياسة الإنجليزية الأصيل . فالتأجيل وترك العقدة للزمن يحلها الحل المناسب هو الطابع الدائم للسياسة الإنجليزية ، وبخاصة مع الأمم

الصغيرة الثائرة لحقوقها المهضومة ، — والزمن دائماً في صف الأقوياء لا الضعفاء — وهذه الاقتراحات الأخيرة تضمن للسياسة التقليدية أقصى مدى ، لأنها في أيدي لجنة تحقيق لا يجوز أن يستعجلها أحد عن استجلاء الحقائق ! وإلا كان متهماً لا يريد للحقائق الظهور !

٤ — والانتصار الرابع هو التوفيق بين سياسة الأحزاب الإنجليزية كلها في علاج قضية خارجية . والانجليز يتهجون لمثل هذا التوفيق لأنهم جميعاً انجليز !

للانجليز أن يهللوا لهذه التصريحات الأخيرة في صحفهم عامة ، ولكن ليس للعرب أن يخدعوا بهذا التهليل ، لأن لهم في القضية موقفاً آخر يستدعي التفكير المستقل عند النظر في الأمور . وقضية فلسطين قضية عادلة لا يضيرنا فيها التحقيق ؛ ولكن متى كانت عدالة القضايا الوطنية كافية لتقرير الحق في الأمور ؟

* * *

والآن ... ما هو طريقنا المأمون !

طريقنا ألا نثق بضمير أحد ، فما لأحد في العالم الغربي ضمير ! لقد رهنت هذه الحضارة الغربية على إفلاس في الضمير لا عهد للعالم به في جميع الحضارات السابقة .

وقبل أن نثق بالضمير الأوربي أو الأمريكي ، يجب أن نتذكر لفرنسا حوادث سوريا ولبنان — وهي قريبة لم تغب عن العيان — ويجب أن نذكر لانجلترا يوم ٤ فبراير الشنيع ؛ ثم موقفها في أندونسيا — وهو حاضر الآن — ويجب أن نذكر لأمريكا نداء «ترومان» ونصرته للصهيونيين !

طريقنا ألا نثق بضمير أحد ، وألا نستنيم لدعوة ما من دعوات الثقة بهذا الضمير .

وطريقنا ألا نستنيم لمخدرات التأجيل إلا إذا وقفت الهجرة وقفاً تاماً حتى يتم التحقيق . فلقد رأينا أن الزمن ليس في صالحنا . وإذا شاء أحد أن يستنيم فليتذكر متى صدر الكتاب الأبيض بوقف الهجرة الصهيونية في موعد محدد ، ولماذا صدر هذا الكتاب . ثم ليتذكر متى ألغي الكتاب الأبيض وأبيحت الهجرة من جديد . ولماذا كان هذا الانقلاب ؟

صدر الكتاب الأبيض ترضية للعرب الساخطين الثائرين ، وصدر تصريح بيفن الأخير ترضية لليهود المتدين الإرهابيين !

وطريقنا أن يرد زعماء الأمة العربية ما بأيديهم من السلطة إلى هذه الأمة نفسها لترى رأيها في الموقف الجديد ، فهي صاحبة الأمر قبل الزعماء أجمعين .

ولأطلقها صيحة صريحة قاسية :

أيتها الأمة العربية : احذري حتى رجال السياسة من أبنائك . لا لأنهم قد يخونونك أو يخدعونك ، ولكن لأنهم قد يخانون ويخدعون ! ولأن كراسي الحكم قد تكون في بعض الأحيان وثيرة إلى حد تستنيم له الأعصاب الثائرة وتخدرفيه الدماء الفائرة!

أيتها الأمة العربية : خذي الأمر في يديك من جديد ، فإني أرى الموقف يستدعي جهود الشعوب نفسها لا جهود الزعماء منفردين .

وما يخدعك أيتها الأمة — في كل قضاياك الوطنية لا في قضية فلسطين وحدها — إلا مخدوع يقصيك عن الأمر ويستنيم للوعود !!!

سير قطب

ظهر حديثاً كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زينت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً